

بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود، يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخاً جميعاً بالصلوات الخمس. وقيل: هي قراءة القرآن بعينها. قيل: يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن. وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين. وقيل: خمسين آية، وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضرابين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله. وقيل: سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء<sup>(2)</sup>، وعن عبد الله بن عمر: ما خلق الله موتةً أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شعبي رجل أضرب في الأرض ابتغي من فضل الله<sup>(3)</sup> و«علم» استثناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ، و«واقموا الصلوة» يعني: المفروضة والزكاة الواجبة، وقيل: زكاة الفطر لأنه لم يكن بمكة زكاة وإنما وجبت بعد ذلك، ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيًا. و«واقترضوا الله قرضاً حسناً» يجوز أن يريد سائر الصنقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومرعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف إلى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال. «خيراً» ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعال من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة. وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجراً بالرفع على الابتداء، والخبر عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المزمل نفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة»<sup>(4)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة المنثر مكية

بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ

«المنثر» لباس الدثار وهو ما فوق الشعار، وهو الثوب الذي يلي الجسد. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنصار شعار والناس دثار»<sup>(3)</sup>. وقيل: هي أول سورة نزلت، وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «كنت على جبل حراء فنويت يا محمد إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوق فرايت

يكون مضافاً إلى الفاعل وهو الله عز وعلا، ولم يجز له ذكر لكونه معلوماً.

إِنَّ مَنِيذِرَ تَذَكُّرٍ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٨﴾

«إن هذه» الآيات الناطقة بالوعيد الشديد «بتكره» موعظة «فمن شاء» اتعظ بها. واتخذ سبيلاً إلى الله بالتقوى والخشية. ومعنى اتخاذ السبيل إليه التقرب والتوسل بالطاعة.

إِنَّ رَبَّكَ يَمْلِكُ إِنَّكَ تَقُومُ أَذَىٰ مِنْ ثُلَّةٍ أَيْلٍ وَبِصَمِّ وَثَلَمٍ وَكَلِيفَةٍ مِنْ الَّذِينَ مَدَكَ وَاللَّهُ يَعْدُرُ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ عِلْرٌ أَنْ لَنْ نَحْمُوهُ فَنَابَ عَلَيَّكَ فَأَقْرَهُوْا مَا يَنْتَرُ مِنَ الْفُرْهَانِ عِلْمٌ أَنْ سَبَكُونُ وَنَكْرُ مَرْهَقٌ وَمَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَاخِرُونَ يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَهُوْا مَا يَنْتَرُ مِنْهُ وَأَدْمُوا الصَّلَاةَ وَأَدْمُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقِيمُوا لِأَهْلِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَقْبِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

«أنسى من ثلثي الليل» أقل منهما وإنما استعير الأنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيثين إذا دنت قس ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك. وقرئ: ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث، وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه وهو الأنى من الثلثين وقرئ: ونصفه وثلثه بالجر. أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف، والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وأنى من الثلثين، وقرئ: ونصفه وثلثه بالجر. أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف، والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو الأنى من الثلثين، والثلث وهو الأخر. و«وطنانفة من اللين معك» ويقوم تلك جماعة من أصحابك، «والله يقدر الليل والنهار» ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده، وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير. والمعنى: أنكم لا تقدرون عليه الضمير في «لن تحصوه» لمصدر يقدر. أي: علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تاخنوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم «فتاب عليكم» عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله: «فتاب عليكم وعفا عنكم. فالآن باشروهن»<sup>(1)</sup> والمعنى: أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب. وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها

(1) سورة البقرة، الآية: 187.

(4) نكره الثعلبي وابن مردويه والواحد في تفاسيرهم 113/4.

(5) تقدم في آل عمران.

(2) قال الزيلعي: رواه الثعلبي في تفسيره، وابن مردويه: 112/4.

(3) رواه البيهقي في الشعب، قاله الزيلعي: 113/4.

وَأَكْبَرُ تَأْمِيرٌ ﴿٥﴾.

﴿وَالرَّجْزُ﴾ قرئء بالكسر والضم وهو العذاب. ومعناه: أهدر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم، والمعنى: الثبات على هجره لانه كان بريئاً منه.

وَلَا تَسْرُ تَسْكُرٌ ﴿٦﴾.

قرأ الحسن: ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال. أي: ولا تعط مستكثرًا رائيًا لما تعطيه كثيرًا أو طالبًا للكثير، نهى عن الاستغزاز وهو أن يهب شيئًا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث «المستغزر يثاب من هيبته»، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون نهياً خاصاً برسول الله ﷺ لأن الله تعالى اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق، والثاني أن يكون نهى تنزيه لا تحريم له ولأتمته، وقرأ الحسن: تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن. كانه قيل: ولا تمنن، لا تستكثر على أنه من المن في قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾<sup>(4)</sup> لأن من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي: يراه كثيرًا ويعتد به، وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفاً وأن يعتبر حال الوقف. وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله:

ألا إلهذا الزاجري احضر الرغى

وتؤيده قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر. ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها. كما روى: احضر الرغى بالرفع.

وَرَبِّكَ تَأْمِيرٌ ﴿٧﴾.

﴿ولربك فاصبر﴾ ولوجه الله فاستعمل الصبر. وقيل:

على اذى المشركين، وقيل: على أداء الفرائض. وعن النخعي: علي عطيتك، كانه وصله بما قبله وجعله صبراً على العطاء من غير استكثار. والوجه أن يكون أمراً بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه، ويراد الصبر على اذى الكفار لانه أحد ما يتناوله العام. والفاء في قوله:

إِذَا نَزَرَ فِي الْأَنْوَارِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَمِيرٌ ﴿٩﴾.

والفاء في قوله ﴿فإذا نقر﴾ للتسبب كانه قال: اصبر على اذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه.

والفاء في ﴿فذلك﴾ للجزاء.

فإن قلت: بم انتصبت إذا؟ وكيف صح أن يقع ﴿يومئذ﴾ ظرفاً ليوم عسير؟ قلت: انتصبت إذا بما دل عليه الجزاء لأن

شيئاً<sup>(1)</sup>. وفي رواية عائشة: فنظرت فوقى فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض. يعني: الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: «نثروني نثروني. فنزل جبريل وقال: يا أيها المنثر<sup>(2)</sup>. وعن الزهري: أول ما نزل سورة: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾<sup>(3)</sup> فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواحق الجبال فاتاه جبريل فقال: إنك نبي الله. فرجع إلى خديجة وقال: نثروني وصبوا علي ماءً بارداً، فنزل يا أيها المنثر. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل المغمووم فامر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وأنوه. وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من نثره وقال: نثر هذا الأمر وعصب بك.

فَرَأَيْنَهُ ﴿١٠﴾.

كما قال في المزمّل: قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم. ﴿فانذر﴾ فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، والصحيح أن المعنى فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد.

وَرَبِّكَ كَبِيرٌ ﴿١١﴾.

﴿وربك فكبر﴾ واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال: الله أكبر. ويروى أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر». فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي، وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط، كانه قيل: وما كان فلا تدع تكبيرة.

وَرَبِّكَ تَكْوِيرٌ ﴿١٢﴾.

﴿وثيابك فطهر﴾ أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من

النجاسات لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى والأحب في غير الصلاة وقبب بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثاً. وقيل: هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذبول وذلك ما لا يؤمن معه إصابة النجاسات. وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهن من العادات. يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذليل والأردان، إذا وصفوه بالتقاء من المعاييب ومدانس الأخلاق. وفلان ننس الثياب للغار وذلك لأن الثوب يلبس الإنسان ويشتمل عليه فكنى به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون: المجد في ثوبه والكرم تحت حلته. ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاها عني بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء.

(1) رواه البخاري في كتاب: بدء الوحي باب: (3) (الحديث رقم: 4)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (الحديث رقم: 401).

(3) سورة العلق، الآيات: 1 - 5.

(4) سورة البقرة، الآية: 262.

(1) رواه البخاري في كتاب: بدء الوحي باب: (3) (الحديث رقم: 4)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (الحديث رقم: 257 - 161).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿اقرأ باسم ربك الذي

للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوقور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم، فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم. ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المآمع والمحافل، أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه. وعن مجاهد: كان له عشرة بنين، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: سبعة كلهم رجال: الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعمارة.

رَمَدْتُ لَمْ تَهَيِّأْ ﴿٧﴾

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي المال والجاه، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون زيادة الجاه والحشمة، وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش.

تَمْ بَطَعُ أَنْ أُرِيدَ ﴿٨﴾

﴿ثم بطع أن أريد﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه<sup>(2)</sup>. يعني: أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة. وقيل: إنه كان يقول إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لي.

كَلَّا إِنَّكَ كَأَنَّ لِبَئِينَا عِينَا ﴿٩﴾

﴿كلاً﴾ ردع له وقطع لرجائه وطمعه ﴿إنه كان لآياتنا عنيذا﴾ تعليق للردع على وجه الاستئناف. كان قائلاً قال: لم لا يزد؟ فقيل: إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد. ويروي أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك.

سَأْرِفَعُهُ صَعُودًا ﴿١٠﴾

﴿سأرفعه صعوداً﴾ سأغشيه عقبة شاقة، المصعد وهو مثل لما يلقي من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق. وعن النبي ﷺ: «يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عانت، وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عانت»<sup>(3)</sup>، وعنه عليه السلام: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً»<sup>(4)</sup>.

إِنَّمْ نَكَرَ وَفَدَّرَ ﴿١١﴾

﴿إنه فكر﴾ تعليق للوعيد، كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده، ويعاقبه في

المعنى: فإذا نفر في الناقر عسر الأمر على الكافرين، والذي أجاز وقوع يومئذٍ ظرفاً ليوم عسير أن المعنى: فذلك وقت النقر، وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقر. واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية، ويجوز أن يكون يومئذٍ مبنياً مرفوع المحل بدلاً من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير.

عَلَى الْكٰفِرِينَ عَيْرٌ يَسِيرٌ ﴿١٢﴾

﴿فإن قلت﴾ فما فائدة قوله: ﴿غير يسير﴾ وعسير مغم عنه! قلت: لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم. قال: غير يسير، ليؤنن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا.

ذَرَبٌ وَمَنْ خَلَقَتْ رَجِيدًا ﴿١٣﴾

﴿وحيداً﴾ حال من الله عز وجل على معنيين: أحدهما نرني وحدي معه فانا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقمه، والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أو حال من المخلوق على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد. كقوله: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾<sup>(1)</sup> وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية، فإن كان ملقباً به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمنونه من منحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب، وهو أنه خلق وحيداً لا مال له ولا ولد، فاتاه الله نكح كفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه.

رَبَّمَلْتُ لَمْ مَالًا مَسَدُودًا ﴿١٤﴾

﴿ممدوداً﴾ مبسوطاً كثيراً أو ممدداً بالنماء، من مدّ النهر ومدّه نهراً آخر. قيل: كان له الزرع والضرع والتجارة. وعن ابن عباس: هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال، وقيل: كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفاً وشتاءً، وقيل: كان له ألف مثقال، وقيل: أربعة آلاف، وقيل: تسعة آلاف، وقيل: ألف ألف، وعن ابن جريج: غلة شهر بشهر.

وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٥﴾

﴿وبين شهوداً﴾ حضوراً معه بمكة لا يفارقونه

(3) رواه البزار والبيهقي في البعث والنشور، والطبري والشعبي [الزبلي 4/120].

(4) رواه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر (الحديث رقم: 33260)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (الحديث رقم: 4299).

(1) سورة الأنعام، الآية: 94.

(2) قال أحمد: لأن الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد إمعانه النظر لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث. قال: فإن قلت: لم لم يوسط بين الجملتين عاطفاً؟ وأجاب: بأن الثانية أخرجها مخرج التوكيد الأولى.

**فإن قُلْتُ:** ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء؟ **قُلْتُ:** الدلالة على أن الكثرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله: **إلا يا اسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي.**

**فإن قُلْتُ:** ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟ **قُلْتُ:** الدلالة على أنه قد تانى في التأمل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد.

فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا بِحِرِّ يُؤَزِّرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾.

**فإن قُلْتُ:** فلم قيل: **﴿فقال إن هذا﴾** بالفاء بعد عطف ما قبله بثم؟ **قُلْتُ:** لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتماكل أن نطق بها من غير تلبث.

**فإن قُلْتُ:** فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ **قُلْتُ:** لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد.

سَأَلِيهِ سَرَّ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَرَ ﴿٢٧﴾.

**﴿سأليه سقر﴾** بدل من سارهقه صعوداً.

لَا بَنِي وَلَا نَدْرَ ﴿٢٨﴾.

**﴿لا تبقني﴾** شيئاً يلقي فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد، أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة.

رَأَسَهُ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾.

**﴿لواحة﴾** من لوح الهجير قال:

تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر  
قيل: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل.  
والبشر أعالي الجلود. وعن الحسن: تلوح للناس، كقوله:  
**﴿ثم لترونها عين اليقين﴾** (١). وقرئ: **﴿لواحة نصباً على الاختصاص للتهويل.**

عَلَيْهَا يَمَعَّ عَشْرَ ﴿٣٠﴾.

**﴿عليها تسعة عشر﴾** أي: يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكاً. وقيل: صنفاً من الملائكة. وقيل: صفاً. وقيل: نقيباً. وقرئ: تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد. وقرئ: تسعة عشر جمع عشير مثل يمين وأيمن. جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوانتهم ولأنهم أشد الخلق بأساً وأقواهم بطشاً. عن عمرو بن دينار: واحد منهم ينفق بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وعن النبي ﷺ: «كان أعينهم البرق، وكان أقواهم الصياصي. يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قرة

الأخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحراً. ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعاً بقوله: سارهقه صعوداً رداً لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وأخباراً بأنه من أشد أهل النار عذاباً ويعمل ذلك بعناده، ويكون قوله: إنه فكر بدلاً من قوله: إنه كان لآياتنا عنيداً بياناً لكنه عناده. ومعناه: فكر ماذا يقول في القرآن **﴿وقدر﴾** في نفسه ما يقوله وهياه.

نُفِّلَ كَيْفَ نَدَّرَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ نَدَّرَ ﴿٣٢﴾.

**﴿فقتل كيف قدر﴾** تحجيب من تقديره وإصابته فيه المحن ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش، أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به، أو هي حكاية لما كزروه من قولهم: قتل كيف قدر تهكماً بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله: ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه، وأخزاه الله ما شعره الأشعار، بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده. بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغنيق، وإنه يعلو وما يعلو، فقالت قريش: صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعده إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فاتاهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق، وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط، وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب، فقالوا: في كل ذلك اللهم لا. ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يأتزه، عن مسيلمة وعن أهل بابل: فارتج النادي فرحاً وفرقوا معجبين بقوله: متعجبين منه.

ثُمَّ نَفَّرَ ﴿٣٣﴾.

**﴿ثم نظر﴾** في وجوه الناس.

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٣٤﴾.

ثم قطب وجهه ثم زحف مدبراً وتشاوس مستكبراً لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمى بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاءً به. وقيل: قدر ما يقوله، ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل: قطب في وجه رسول الله ﷺ.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٣٥﴾.

**﴿ثم ادبر﴾** عن الحق **﴿واستكبر﴾** عنه فقال ما قال، وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما.

فإن قُلْتُمْ: كيف نكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة؟ قُلْتُمْ: معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ﴿والكافرون﴾ بمكة ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب، وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب.

فإن قُلْتُمْ: قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا، فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضاً! قُلْتُمْ: أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضاً. ألا ترى إلى قولك: خرجت من البلد لمخافة الشر، فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك، مثلاً تمييز لهذا أو حال منه كقوله: ﴿هذه ناقة الله لكم﴾<sup>(3)</sup> آية.

فإن قُلْتُمْ: لم سموه مثلاً؟ قُلْتُمْ: هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً له، والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص. الكاف في ﴿كنك﴾ نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين. يعني: يفعل فعلاً حسناً مبنياً على الحكمة والصواب، فيراه المؤمنون حكماً ويدعون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيماناً، وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفراً وضلالاً. ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عقد ناقص، وما في اختصاص كل جند بعنده من الحكمة ﴿إلا هو﴾ ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والصلود والكفارات والصلوات في الشريعة. أو ما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو

التقلين يسوق أدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم. ودوي أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم اسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فلكفوني أنتم اثنين. فانزل الله:

وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا سِتَّةَ لَّيَالٍ كَثُرُوا بِلِسَتَيْهِمُ اللَّيْلِ أَوْراً لِكِتَابٍ وَرَدَّادِ اللَّيْلِ مَأْسُوراً إِنَّمَا وَلَا يَرْتَابُ اللَّيْلِ أَوْراً لِكِتَابٍ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولُ اللَّيْلِ فِي قُلُوبِهِمْ رَبِّهِمْ وَالْكَافِرُونَ مَا آتَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يُغَلِّقُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَهْدِي إِلَّا وَيُذِي لِلشَّرِّ (٢١)

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون.

فإن قُلْتُمْ: قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سبباً<sup>(1)</sup> لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك! قُلْتُمْ: ما جعل افتتانهم بالعدة سبباً لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سبباً وذلك أن المراد بقوله: ﴿وما جعلنا عنيتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ وما جعلنا عنيتهم إلا تسعة عشر، فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحداً من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله ويحتمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة. كانه قيل: ولقد جعلنا عنيتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عنيتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وإزياد المؤمنين إيماناً لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك.

فإن قُلْتُمْ: لم قال: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ والاستيقان وإزياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب<sup>(2)</sup>؟ قُلْتُمْ: لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وتلج الصدر، ولأن فيه تعريضاً بحال من عداهم. كانه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر.

= فيه سماع وأورد السؤال على قاعته بعد ذلك كله في أن الله لم يريد من المنافقين والكافرين أقوالهم، وإن قالوا على خلاف ما أراد، وقد عرفت فساد القاعدة فأرجح فكرك من هذا السؤال، فالكل مراد وحسبك تنمة الآية: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ قال: وليست بتانيث رهين إلخ.

(3) سورة هود، الآية: 64.

(1) قال أحمد: ما جعل افتتانهم بالعدة سبباً لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سبباً؛ لأن المراد: وما جعلنا عنيتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع ذلك؛ لأن حال هذه العدة الناقصة واحداً من العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله ويحتمته ولا يذعن، وإن خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل: لقد جعلنا عنيتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب.

(2) قال أحمد: أطلق الغرض على الله عز وجل مع أنه موهم، ولم يرد =

شاء بدلاً من للبشر على أنها منكرة للمكلفين الممكنين الذين إن شأوا تقدموا ففازوا وإن شأوا تأخروا فهلكوا.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾.

﴿رهينة﴾ ليست بتأنيث رهين<sup>(2)</sup> في قوله: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾<sup>(3)</sup> لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقليل: رهين. لأنَّ فعلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالتشبيبة بمعنى الشتم. كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل  
كأنه قال: رهن رمس، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك.

إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾.

﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الزاهن رهنه بإداء الحق. وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتنون بها، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هم الملائكة.

فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ مَا سَأَلُكَ فِي سَعْرٍ ﴿٣٢﴾.

﴿في جنات﴾ أي: هم في جنات لا يكتنه وصفها. ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ يسأل بعضهم بعضاً عنهم<sup>(4)</sup>، أو يتساءلون غيرهم عنهم. كقولك: دعوته وتداعيناه.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿ما سألكم﴾ وهو سؤال للمجرمين قوله: ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ وهو سؤال عنهم، وإنما كان يطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين ما سألكم! قلت: ما سألكم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لأنَّ المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ما سألكم.

قَالُوا لَوْ نَكَّ بِرَ الْمَلْأَيْنِ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ نَكَّ نَطُومَ الْيَتِيمِينَ ﴿٣٤﴾.

﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه.

يعلمها. وقيل: هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلى قوله: إلا هو اعتراض. وقوله: ﴿وما هي إلا نكري﴾ متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي: وما سقر وصفتها إلا تذكرة ﴿للبشر﴾، أو ضمير الآيات التي نكرت فيها.

كَلَّا وَالْقُرَىٰ ﴿٣٥﴾.

﴿كلا﴾ إنكار بعد أن جعلها نكري أن تكون لهم نكري لأنهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبرى نذيراً.

وَأَلِيلٍ إِذْ أَذْرَىٰ ﴿٣٦﴾ وَالشُّجَّاءِ إِذَا أَشْرَىٰ ﴿٣٧﴾.

﴿وبر﴾ بمعنى: أوبر، كقيل بمعنى أقبل، ومنه صاروا كأمس الدابر، وقيل: وهو من ببر الليل النهار إذا خلفه. وقرئ: إذا أوبر.

إِنَّمَا يَأْخُذُ الْكُفْرَ ﴿٣٨﴾.

﴿إنها لإحدى الكبرى﴾ جواب القسم أو تعليل لكلام، والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التانيث كتابتها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها. ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة. أي: لإحدى البلايا أو الدواهي الكبرى، ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها، كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء.

نَذِيرًا لِلنَّبَرِ ﴿٣٩﴾.

﴿ونذير﴾ تمييز من إحدى على معنى إنها إحدى الدواهي إنذاراً كما تقول هي إحدى النساء عفاً، قيل: هي حال. وقيل: هو متصل بأول السورة، يعني: قم نذيراً، وهو من بدع التفاسير، وفي قراءة أبي: نذير بالرفع خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ.

لَيْسَ شَأْنٌ يَنْكُرُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَأْتُرَ ﴿٤٠﴾.

﴿أن يتقدم﴾ في موضع الرفع بالابتداء ومن شاء خير مقدم عليه. كقولك: لمن توشأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر، والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه. وهو كقوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾<sup>(1)</sup> ويجوز أن يكون لمن

(1) سورة الكهف، الآية: 29.

(2) سورة الطور، الآية: 21.

(3) قال أحمد: لأنه فعيل بمعنى مفعول يستوي منكزه ومؤنثه كقتيل وجديد.

(4) قال أحمد: إنما أورد السؤال نريفة وحيلة لتحميل الآية الدلالة على أن فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلاً يسلكون في النار مخلدين مع الكفار، فجعل كل واحدة من الخلال الأربع توجب ما توجب الأخرى من الخلود، والصحيح في معنى الآية أنها خاصة بالكفار، =

= ومعنى قولهم: ﴿لم نك من المصلين﴾ لم نك من أهل الصلاة، وكذلك إلى آخرها: لأنهم يكذبون بيوم الدين، والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات، ولو فعلها لم تنفعه، وقدرت كالعدم، وإنما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم. قال: وفي تشبيهم بالحرر تهجين لهم وشهادة عليهم بالبلادة، وأيضاً المقصود تشبيه إِبْرَاهِيمَ عن الحق وتسارعهم إلى الإعراض عنه بنفاز حمر الوحوش، وعادة العرب أنها تشبه في السرعة بعدو الحمر، وخصوصاً إذا أحست بقائض فجرى على ما عهده، والله اعلم.

وَكُنَّا نَحُورُ مَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾.

وعودها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثْقَلَةً ﴿١٥﴾.

﴿صحفًا منشرة﴾ قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها، أو كتبًا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك، ونحوه قوله: وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه، وقال: ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار. وقيل: كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا على رأسه نذبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك. وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة. وقرأ سعيد بن جبير: صحفًا منشرة بتخفيفهما على أن انشر الصحف ونشرها واحد كإنزله ونزله. ردهم بقوله:

كَلَّا بَلْ لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٦﴾.

﴿كلا﴾ عن تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ فلذلك أعرضوا عن التنكرة لا لامتناع إيتاء الصحف ثم ردهم عن إعراضهم عن التنكرة. وقال:

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿١٧﴾.

﴿إنه تنكرة﴾ يعني: تنكرة بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية.

مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٨﴾.

﴿ومن شاء﴾ أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير في أنه و﴿ذكره﴾ للتنكرة في قوله: فما لهم عن التنكرة معرضين وإنما نكر لأنها في معنى النكر أو القرآن.

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّعْيِ وَأَهْلُ الْعَقْرِ ﴿١٩﴾.

﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ يعني: إلا أن يقسروهم على النكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لا يؤمنون اختياريًا. ﴿هو أهل النعوى وأهل المغفرة﴾ هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا وطبيعوا، وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا. وروى أنس عن رسول الله ﷺ: هو أهل أن يتقى أهل أن يغفر لمن اتقاه<sup>(2)</sup> وقرئ: يذكرون

الخوض: الشروع في الباطل وما لا ينبغي.

فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك؟ قلت: توبيخًا لهم وتحسيرًا وليكون حكاية الله نلك في كتابه تنكرة للسامعين، وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالاطفال أنهم إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار.

فإن قلت: أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعًا.

وَكَا كَذِبٌ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾.

فإن قلت: لم أخرج التكنيب وهو أعظمها؟ قلت: أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيمًا للتكنيب كقوله: ثم كان من الذين آمنوا.

حَيَّ أَهْلًا آلِيَيْنُ ﴿٢١﴾ فَمَا نَمْنَهُمْ نَمْنَةُ الشَّيْبَانِ ﴿٢٢﴾.

﴿والليقين﴾ الموت ومقدماته، أي: لو شفع لهم الشافعون جميعًا من الملائكة والنبیین وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين.

فَمَا لَمْ يَنْتَكِرْهُ مَعْزِينَ ﴿٢٣﴾.

﴿عز التنكرة﴾ عن التنكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ. و﴿معرضين﴾ نصب على الحال كقولك: ما لك قائمًا.

كَاثِمٌ حُمُرٌ سُتَيْرٌ ﴿٢٤﴾ قَرَّتْ مِنْ قَسْوَمٍ ﴿٢٥﴾.

والمستغفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه، وقرئ: بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار، والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها، وقيل: الأسد يقال ليوث قساور، وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة، وفي وزنه الحيدرة من أسماء الأسد. وعن ابن عباس: ركز الناس وأصواتهم. وعن عكرمة: ظلمة الليل، شبههم في أعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر حدث في نفاها مما أفرعها. وفي تشبيهم بالحمر نمرة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفانًا﴾<sup>(1)</sup> وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش وأطرادها في العدو إذا رابها رائب، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر

(1) سورة الجمعة، الآية: 5.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر =

= (الحديث رقم: 3328)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، (الحديث رقم: 4299).

كريم ﴿﴾. وقرئ: لا أقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف. معناه: لانا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف.

وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةَ ﴿٧﴾

﴿بالنفس اللوامة﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي: في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى، أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وعن الحسن: إن المؤمن لا تراه إلا لائمًا نفسه وإن الكافر يعضي قلمًا لا يعاتب نفسه. وقيل: هي التي تتلوم يومئذ على ترك الأزياد إن كانت محسنة، وعلى التفريط إن كانت مسيئة، وقيل: هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة. وجواب القسم ما دل عليه قوله:

أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٨﴾

﴿أيحسب الإنسان أن يجمع عظامه﴾ وهو لتبعثن. وقرأ قتادة: أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول، والمعنى: نجتمعها بعد تفرقتها ورجوعها رمًا ورفاتًا مختلطًا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض، وقيل: إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأحنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله ﷺ يقول فيهما: «اللهم اكفني جار السوء». قال لرسول الله ﷺ: يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال: «لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به أو يجمع الله العظام فنزلت» (5).

بَلْ تَذَرِينَهُ عَلَىٰ أَنْ سُؤِّيَ بَكَتَهُ ﴿٩﴾

﴿بلى﴾ أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع. فكانه قيل: ﴿بلى﴾ نجتمعها و﴿قادرين﴾ حال من الضمير في نجمة أي: نجمة العظام قادرين على تأليف جميعها. وإعانتها إلى التركيب الأول إلى أن نسوي بنانه أي: أصابعه التي هي أطرافه وأخر ما يتم به خلقه، أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولًا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام. وقيل: معناه بلى نجمة ونحن قادرين على أن نسوي أصابع يديه ورجليه. أي: نجعلها مستوية شيئًا واحدًا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئًا مما يعمل بأصابعه المفترقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال والبسط والقبض

بالياء والتاء مخففاً ومشدداً، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنثر أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من صنع بمحمد وكتب به بمكة» (1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة القيامة مكية

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾

إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض (2) في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس:

لا أوبيك ابنة العامري لا يدعى القوم انسي أقر

وقال غوية بن سلمى:

الاناث أمانة باحتمال لتحرزني فلابك ما ابالي

وفائتها توكيد القسم، وقالوا: أنها صلة مثلها في لثلا يعلم أهل الكتاب. وفي قوله: في بشر لا حور سرى وما شعر. واعتراضوا عليه بأنها إنما تزداد في وسط الكلام لا في أوله، وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض. والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد إلا ترى إلى امرؤ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال: هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له بذلك عليه قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم﴾ (3) فكانه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعني: أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل: أن لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث. فقيل: لا، أي: ليس الأمر على ما نكرتم. ثم قيل: أقسم بيوم القيامة.

فإن قُلْتَ: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ (4) والأبيات التي انشدها المقسم عليه فيها منفي فهل زعمت أن لا التي قبل القسم زيت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا. كقولك: لا أقسم بيوم القيامة لا تزكون سدى! قُلْتَ: لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ وكذلك ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ بقوله: ﴿إنه لقرآن

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 123.

(2) قال لحمد: إن لا التي قبل أقسم زيت توطئة للنفي بعده، وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا تقديره ﴿لا أقسم بيوم

القيامة﴾ لا تزكون سدى، وأجاب: بأنه لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان له مساغ، ولكنه ليس بقاصر عليه، ألا ترى

كيف لقي ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في =

(3) سورة الواقعة، الآيتان: 75 - 76.

(4) سورة النساء، الآية: 65.

(5) قال الزيلعي غريب 4/ 127، ونكره الواحدي في أسباب النزول ص 248.